

مقابلة أدبسي مع :

البرتو مورافيا

وحدث عن روايته « انا وهو »

بقلم نبيل المهاني



عواصم هذا العالم السعيد بتعاسته ، التعميس بسعادته ، ليرى الامر مسرورا .

لقد طرح مورافيا في روايته هذه ، « انا وهو » ، موضوع الجنس في اكثر صورة عريا : جعله انسانا يتكلم ويسمع ويرى ، ثم ضمنه بعدها نفس ، لا بل جسد انسان اخر ، هو نقيض الاول ومثيله في آن ، واشعل بين الاثنين صراعا لا ينتهي ، كما لا ينتهي الصراع في روما مورافيا وغرب مورافيا .

ان ريكو ، بطل الرواية ، هو انسان مهوور ، مغلوب على امره ، « مسقتل » ، لكنه طموح . يطمح الى التغلب الى « التصعيد » . بيده وتسيير نفسه وضبط آلياتها . انه يطمح الى « التصعيد » . هذا التصعيد الذي انطلق من معناه الفرويدي الاصلي ، كتصعيد للطاقة الجنسية لدى الانسان وحملها الى مستوى الابداع الفني ، ذلك كما يجري لدى العباقرة حسب التفسير الفرويدي - ليأخذ بعدها ، وشيئا فشيئا ، خلال الرواية ، معنى يزداد اتساعا وشمولاً ، حتى يصبح قدر « طبقة » من الناس ينتشر افرادها في جميع انحاء العالم ولا تناقضها الا طبقة اخرى هي طبقة المهزومين والمغلوبين على امرهم : اي « المسقتلين » .

اما سبيل ريكو الى تصعيده هذا ، فيبدو في حلمين يلونهما بطلنا هذا من اول الكتاب الى آخره بألوان شتى ، ويؤلفهما ما وسعه ذلك ، لا بل انه يحيي لحظات يضخم خلالها من امرهما ليجعل منهما واقعا اشد صلادة وتماسكا من الواقع بعينه ، رغم ان هذا الواقع الجديد هو محض خيال وتصورات انسان واهم مهزوم . انما حلم الحب وحلم الفن . الحب والفن هما طريق الانسان الوحيدة نحو السمو ونحو التغلب على حوافره « الحيوانية » التي تتخذ ، هنا في

« الحقيقة ان الانسان ، الانسان الذي يلوح متكامل الشخصية من خلال قراراته واختياراته ، يشارف كل يوم ، وفي كل برهة ، على رعب اكتشاف ذاته غريبا في كل ما يفكر وفي كل ما يريد ، وكان في روحه ارواحا عديدة تعدو كل منها في طريقها الخاص ، كما هو الامر في الاسطورة الافلاطونية . ونحن اذا ما امعنا النظر في وعينا لشخصيتنا وادراكنا لها ، سوف نرى انها تركز على توازن مرهف ودقيق تحفقه الحوافز والحوافز المضادة في باطننا : فنحن نقيم يوميسا علاقات دبلوماسية او تسلطية مع القوى الخفية التي تتمم وتناهض وتنشط في اعماق اعماقتنا . لكن انفصاما لا يرد ولا يعالج يحدث بعض الاحيان : فنحن قد نرغب في امر يرفضه الجانب الاخر منا ، وهكذا فاننا نشعر ، انذاك ، باننا لا نعيش بمقدار ما نشعر باننا « نماش » او بان « غيرية » ما نمت في اعماقتنا وداننا . وان مثال الدكتور جايسل ومستتر هايد ، رغم اسطرته العلمية المبالغ بها ، يخفي احتمالا قد يتحقق في اي يوم في باطننا ، وهو اقرب اليانا مما تحملنا على الاعتقاد بسسه نقتنا الواهمة باننا ، على الدوام ، انفسنا . والاسوأ من ذلك ان هذا المرض والانفصام الخفي بوسعه ان يشمل احيانا حقبة بكاملها ومجتمعنا باجمعه : فالعالم الخارجي عندما يجن وينفجر يساعد على الانطلاق الداخلي وذلك لما يفنجه من سدود ويحله من قيود . عندها ، وفي احوال مماثلة ، نرى ان الحاجز الذي يفصل بين الاعتبادية والمرض ينهار ويتلاشى . وهكذا فان مستر هايد يأخذ مكان الدكتور جايسل من غير ان يدرك الامر او يدعش له اي مخلوق » (١) .

وبالفعل فان مورافيا قد تساءل ، اول ما تساءل عند شرعه بكتابة رواية « انا وهو » : « عما اذا كان ثمة ، في الاعتبادية الطبيعية ، انفصام تمكن مقارنته بالانفصام العصابي . وادرك ان هذا الانفصام لم يوجد وحسب ، بل انه كان موجوداً على الدوام » (٢) .

وقد انكب مورافيا على روايته هذه منطلقاً من فكرة اخرى ايضا تتصل بضرورة معالجة هذه الحال روئيا بواسطة اسلوب ملائم . ورأى ان الاسلوب الجاد يلائم حالات الانفصام العصابي . ولذلك فلا بد من اسلوب « تراجيكي - كوميكي » يساعد على اتخوض في غمار رواية موضوعها الاساسي هو ابراز حال انفصام طبيعية ، وذلك بشكل واضح ومجسم .

اما هذا الانفصام فهو ، في نهاية الامر ، انفصام بين النفس والجسد ، بين الروح والمادة ، بين تسامي الحياة وانحطاطها .

لقد بلغ مورافيا قمة الامتولة اذن . والجنس : موضوع الجنس الذي كثيرا ما اتهم مورافيا بالاصرار عليه ، طرح في هذه الرواية في افصح صورة واكثرها دلالة . لكن الامعان في الاصرار يكشف هنا ، وبصورة واضحة ايضا ، عن نقيضه ايضا : اي عن الامعان في الرفض . ومن كان يتهم مورافيا بالاصرار الاول كان عليه ان يتجرد وان يحمل عدسة بلا الوان ويتجول هنا في شوارع روما ، او غيرها مسن

١ - بييرو ديلامانو ، مجلة « ايزي سيرا » تاريخ ١٢ - ٢ - ١٩٧١ .
٢ - من عرض الكتاب بطبعته الاصلية .

الذين يعلمون كل شيء عن فرويد (او هكذا يدعون) ، ويمارسون المناهضة لكنهم من المناهضين ، من الذين يغذون مطامع فنية خرقاء ، لكن الفن هو اول من يلسمهم بالسياط : أي انه من المفكرين الذين قد يلقى بهم اكثر ما يلقى لقب « الاربعينيون ذوي السراويل القصيرة » لانهم لا يفلحون بعد في رفع انفسهم الى اي من مستويات الحياة . بل يثرون .. »

« ان يكون ، هذا المشؤوم ، يثرثر كالهالكين : وهو يزين بلاغته بالمبارات التقليدية التي نصادفها لدى من لا يفلح في التعبير عن نفسه بصورة مباشرة وواقعية ، « لنقل هكذا » ، « ان صح القول » .. الخ .. الخ .. »

« والحق ان مورافيا حاكى في أسلوبه بناء قائما على صوت معين ، وعلى ذلك البناء انشا عمله . »

« ان « انا وهو » ليست رواية متماسكة البنية ، ذلك كما اجبر يكون نفسه مورافيا على القول والتصريح ، وليست رواية كوميدية ، كما انها ليست رواية عن الجنس . »

« انها ليست رواية متماسكة البنية : لانها رواية تجري وتقدم حوادثها بحرية تامة على اوراق متلاصقة فيما بينها يربطها خط روائي دقيق (كتابة سيناريو لفيلم مناهضة ، على ريكو ان يكتبه مع جماعة من الفتية « الصينيين ») . »

« كما ان هذه الرواية لا تتطور وفقا لمفهوم « السوسنيس » ولا تمضي قدما بقوة فكرة مطلقة عن البنية الروائية ، لانها رواية مفتوحة ، واسعة الافتاح . »

« وهي ليست رواية كوميدية : لكنها كوميدية ايضا وفي ان . وذلك على نفس الطريقة التي نرى فيها ان الروايات المفتوحة هي كوميدية وليست كوميدية في الوقت نفسه . والنفحة السائدة في الرواية هي نفحة المفامرة ، وبوسع المفامرات ان تكون سعيدة ، كما ان بوسعها ان تكون تراجيدية . »

« اما لماذا ليست هذه الرواية رواية عن الجنس ، فذلك لانها لا تعطي عن الجنس الا صورة طقسانية او صورة ثرثرة بلا نهاية: اي صورة الطبيعة وهي تضغط على الفكر ، والظلام وهو يصارع النور او انها صورة بلاغية يستعملها البرجوازي - الصغير ليدل بها على امر اخر ، ليس هو الجنس على اي حال . ان ريكو يستقطب ، في الجنس ، هلوسته عن السلطان وعن التفوق الفكري وغير الجسدي . لكن الجنس ، اي طبيعته الحزينة ، يحمله دوما نحو حقيقة بسيطة وسقيمة : حقيقة تصرخ امامه انه لن يفلح في هذه الحياة ، وانه مهزوم لا معالة ، وانه لا مفر من كون الانسان مهزوما . وكل مفامرة يقوم بها ريكو تؤكد امامه هذه الخلاصة . وهذه هي الفكرة المسيرة والقائدة في الكتاب والتي عدد لها مورافيا وجوها من صفحة الى صفحة ، وفي نوع من الفوران المهتاج . »

« ان اشخاصا مثل ريكو هذا لا يصنعون غير ان يحلموا بمستقبل هو كمستقبل الابطال ، وغير ان يهزموا كل فاقه حيوية بان يحصلوا ومن يدري على ماذا ، ربما على السلطان ، مثلا . ثم انهم يفكرون وهم يتصنعون التفكير . »

« والتفكير لدى شخصية مثل شخصية ريكو ، هو نوع من التشبيه البلاغي المهوس ، ذلك كما هو الامر عند مورافيا - على ما يبدو - خارج الكتاب . »

« لكن كم من الايمان يعبر مورافيا افكار ريكو هذه ونظريته في التصعيد التي تشكل لازمة جميع مفامراته التي يعيشها ؟ » . « غير اني لا اظن ان مورافيا اراد ان يفلح في هذه اللازمة رسالة ايجابية من رسائله : فهو يصدق افكار ريكو بالطريقة التي يصدق بها الروائي افكار احدي شخصياته . » « ان فكر ريكو هو صورة اجتماعية ، تصف حدود العالم الذي يعيش فيه ، كما انه اسقاط

الكتاب ، كما في اواقع الذي صدر عنه الكتاب ، ابعادا هي اصخم من ابعادها المعتادة . والحب وانفن هما طريق الانسان الوحيدة نحو تأكيد ذاتيته كإنسان . لكن هل الحب ، وهل الفن ، امران يستطيع الجميع ، وفي كل زمان ومكان ، بلوغهما ؟ لا ، وان لا . وهذا هو ريكو ، بطلنا ، الذي لا ندرى ان كان علينا ان نكبسي نغدره او ان يصحك على سوء حاله ، ها هو يناجح ، من اول كلمة في الكتاب حتى آخر كلمة فيه ، حتى يتمكن من بلوغ غتبه هذا الحب وهذا الفن . انه يتوهم ، ويختال بنتائج توهمانه وقد نخيلها واقعا ، ثم ما يبب ان يصطدم بالواقع المرير ، واقع فشله : فشله في الحب المصعد وفشله في الوصول الى عمل فني يكون ثمره التصعيد . انه لا يفعل غير ان يثرثر - يثرثر كالهالكين - ثرثره هذيان مضحك . والمنظر الذي يقدم لنا الكاتب فيه بطلنا وهو يمشي في الشارع ويثرثر بينه وبين نفسه وبصوت مرتفع ، هو منظر ذو دلالة بليغة حقا .

ان فشل ريكو محتم . يحتمه سناؤم مورافيا انصاف ويحتمه واقع مورافيا والواقع الذي اضيق مورافيا بطله ريكو من عقاله . وهو فشل يندى لنا من صفحات الكتاب الاولى . لكنه يتأرجح بعدها على ارجوحة الاوهام ، فيشدنا الى توفعات وتوفعات ، نعيشها كلها مع ريكو ، هذا المعذب المسكين ، ونصطدم خلالها بشخصيات وشخصيات ، ذات اهمية اولية او ثانوية ، لكنها كلها عائرة ومنحرفة للطبع وشاذة الطبع . والحق ان مورافيا يقدم لنا ايضا من خلال هذه الرواية معرضا الارزاء لامراض نفس يحسب المرء انه لا يصدقها الا بين ضيات الكتب العلمية لكنه ما ان يلتفت حوالياه ، هنا على الاقل ، حتى يتحقق من سعي المصابين بها في الشوارع احياء يرزفون ، رغم ان لامراضهم ، عندهم ، اسماء واسماء .

انها واقعية مورافيا التي نوحده بين الاسلوب والموضوع . ولذلك فان اهم ما يوصي به فارتنا العربي البعيد عن هذا العالم ، هو الا يترك نفسه نستتهجن ما يقرأ (وكل املي هو ان يصل انكتاب كاملا ، امينا للاصل ، كما نقلته ، الى ايدي القراء العرب جميعا ، بعد ان بنظر اليه مكاتب الرقابة الادبية وفق معيارين ، احدهما يعادل الاخر : معيار الرقابة ومعيار الفن) واذا كان لا بد من الاستهجان بعدها ، فهو استهجان عالم تفسخ ، فسخته المنعة والاستهلاك والبذخ وحسى الصرف والريج وجميع امراض البرجوازية آتني استولت على العالم بمعاييرها وقد فسدت .

ان اسلوب مورافيا « المفتوح » كما قيل ، هو دليل على حيوية هذا الفنان الابداعية . فهو يتجاوز في هذا الكتاب ما يسميه البعض « ازمة الرواية » وما يصر هو على تسميته بـ « ازمة الروائيين » ، وذلك يتجاوز الاشكال التقليدية - دون الوقوع في التجريبية - من مفهوم العقدة وتصور الشخصيات وطبيعة الحوار وتماسك الحوادث ومن جريان الرواية على سكتين هما سكة انوعي العلمي (وما اجمل الطريقة التي يقدم بها الكاتب على لسان ابطاله التحليلات العلمية المتناقضة للامور !) وسكة الوعي الفني القائم على الحدس ، ان تكشف او كتفسير . هذا بالاضافة الى اتباع مورافيا مرة اخرى ما قرره سابقا عن رواية الرواية والرواية داخل الرواية والتي بدا البرهان الاسلوبي الاكمل عنها في مسرحية « الاله كورت » ، حيث قدم مورافيا مثالا رائعا عن مسرح المسرح .

وارى من المناسب هنا ان اقدم للقارئ العربي مقاطع من ملحق كتاب ظهر في الايام الاخيرة عن مورافيا بقلم الكاتب والناقد اليطالي اينزو شيشليانو .

« في هذه الرواية ، يحمل مورافيا على اكلام مفكرا . . من الذين لا تتعدى آفاقهم مسافة المائة متر التي تفصل بين مقهى روزاني في ساحة البوبولو ومقهى نوتيجين في شارع ديل بابويينو . . من

ايضا في ازمة . انه لا ينس بكلمة ، بل ترسم في ذهنه امكانية القيام بجريمة : جريمة اغتصاب ابنة المرأة ، وهي طفلة نام في الفرفة المجاورة » .

« ان المرأة ، والضوء الباهت ، والممر الفارغ في السفة البرجوازية الصغيرة ، وبهفة النشوة لدى ايرينه ، والمبارة النهائية التي يوحى بها العضو لريكو ازاء نوم الطفلة (« اني لا اريد موتها ») (« اني ») موتها » تعود اكلها الى الكشف عن الاساس الانفعالي للرواية وتقلب مقياس كوميكيتها المفترضة . ذلك لان مورافيا لا يتمكن من الهرب من المساوية التي تنقلب على طبيعته » .

« ان ريكو ، في البرهة التي يرى فيها نفسه من خلال ايرينه (واستعمال المرأة ليس محض صدفة : لان كل قطعة اثاث في رواية ما انما هي صورة بلاغية) ، يدرك مقدار صعوبة الخروج من جلده ، كما يدرك كون ذلك الساطيء الاخير الذي حمل نحوه (اي التحدث الى « عصفوره ») وانظهور بمظهر سيده (لم يكن الا خدعة ») .

« وقد مزقت ايرينه الخدع المتبقية : ولهذا فانه من اليسير على ريكو حتى يجرب القتل ، اي خنق الطفلة بعد اغتصابها كي لا تكلم . لكن ريكو لا يريد بلوغ تلك العتبة ، فيتركها وقد اشرف عليها لم يخسر » :

« من غير أحداث صجة ، اضفاء النور واستدير نحو الباب لاخرج على اطراف اصابعي من الفرفة » .

« وتنتهي الامثولة وتطلق اطرافها : واي جناح مفامرة بوسع هذا الرجل ان يركب ؟ .. وهل كان بوسعه تحقيق منظور الموت الذي يراه (باناي » في صدر ممر الجنس ؟ »

« ويجب ان اقول ان مطالعة ثانية ل « انا وهو » ناتي بعد الاولى بفترة من الوقت لا بد وأن تفيد ، لان المرء سوف يدرك عندها كيف ان سمة الوحش تخفي موسيقى دفينية » .

« واذا كان الجنس يمثل في الهام مورافيا ، على الدوام ، وخاصة في رواياته القريبة العهد ، الاحتمال الاخير للانصال والتبليغ بين بنهي البشر ، فان بلورة الامر هذه قد تعظمت هنا ولم تجاوزها . لان الجنس هو حد لا يمكن عبوره ان لم يكن بالفرق في اعماق امرأة . وعند هذا الحد نرى ان نظرية التصعيد بذاتها ، التي يؤكدتها ريكو خلال الرواية بكاملها ، تتشرب هنا لونا جديدا : انه النسخة الفكرية طبق الاصل لاستمناة ايرينه وقد قدمت تحت تفسير ثقافي . ولا يبقى امام ريكو بعد ان يخمن هذا الامر ويكتسب حدسا عنه ، غير « اطفاء النور » و « الخروج من المسرح » (على اطراف اصابعه) : ذلك ليعود الى قبضة زوجته ويهجر كل مطامحه الخرقاء في الذكاء والجمال » .

ولعله قد حان الوقت بنا لننتقل الى المقابلة التي حكمت ظروف مورافيا ان تكون وجيزة مقتضبة ، والتي اجرينتها معه مؤخرا حول روايته هذه ، لتكون في صدر الطبعة العربية للكتاب . وذلك لننتقل بعدها الى مقاطع من مقابلة اخرى كنت قد اجرينتها معه في العام الفائت حول مجموعته القصصية التي ظهرت آنثذ ، الا وهي « الفردوس » التي ترجمت بعض قصصها ونشرت في « الآداب » اما المقابلة حولها فقد نشرت في مجلة « الطليعة » الدمشقية (٧ - ١١ - ١٩٧٠ ، العدد ٢٢٨) .

س - هل انفصام ريكو هو « حالة الكليسيكية بحتة » يمكنها ان تتبدى من حين لآخر ، ام انها حال تشابهي وثمرة نجمت عن واقع تاريخي معين ؟

لامكانية معينة في الحياة . بيد ان هذه الامكانية صيقة الحدود حتى ان ريكو لا يتمكن الا من الاصطدام والتعثر ، مرة بعد اخرى ، بحقيقة واحدة متكررة : هي ان الضمفاء (المستكين) ، اي اولئك الذين لا يفلحون في تنظيم الطبيعة فتهمهم الطبيعة ، هم وحدهم الذين يستحقون المحبة والعطف ، لان اعماق اعماقهم تنضح عن شاعرية دفينية . وهذا ما نراه لدى زوجة ريكو ، وهي الفتاة المسكينة التي كانت تعمل مومسا يوما ما ، واضطرت الان للخضوع الى قدر العمودية الزوجية الذي تستخلص منه ، ومن غير ان تعي الامر او يدركه ، فضيلة الصبر القديمة : وذلك الى درجة تحملها في النهاية نحو النصر ، لان ريكو يعود اليها .. »

« ان ما يضيع في هذه الرواية وينتلاشى ، ازاء مورافيا الاكثر شهرة ، والذي لس في « السام » مظهره التفسيرى الاكمل ، انما هو شعور انجب المؤسسي الذي ينتقل الى شخصيات مورافيا من الوجود نفسه ، وكما لو يفعل قدر مقدر ، ولذلك فان هذه الشخصيات تستخلص من معانها مقدرة خاصة على الرؤية وباطنية ماساوية » .

« لكن سرعان ما يلاحظ المرء كيف يتحول ذلك الشعور ليصبح امرا آخر : كيف يتحول نحو الوحدة حيث نجد ريكو محمولا على العيش » .

« ونحن نستطيع ، وفي هذه النعطة بالذات ، ان ناتي بتأكيد جديد نقول بواسطة ما نراه في « انا وهو » : اي انها امثولة عن الشعور بالوحدة ، وقد دفع نحو حد بعيد من المساوية الجريئة .. »

« واذا كان مورافيا صاحب « الاحتقار » و « الحب الزوجي » ، صاحب « امرأة من روما » ، او « السام » هو ايضا ، كاتب القنوط الذي ينجم عن عذاب اللقاء مع الاخرين ، فان القنوط ، في هذه الرواية ، هو ممتص داخل ذاته : اي انه مكبوت ، كما يقول انسان فرويدي ، ولهذا فان حال الانسان الوحيد تتبدى امامنا هنا عارية كل انصري : بل انه عري يثير نوعا من دوام خلقي » .

« ها هي اذن صفحات الكتاب السعيدة بجمالها .. : ها هو ريكو يختال في الكنيسة ، ها هي زيارته الى صديقه المحلل النفسي ، ها هو حلمه (والعضو الذي يرسم صافي الصورة جالسا على المقعد ، بعد ان استقل تمام الاستقلال عن صاحبه) ، ها هي زيارته لاهمه .. وهذه هي ، في نهاية الامر ، رؤية ايرينه ، المستمنية امام المرأة » .

« لقد رأى اكثر من نافذ في تلك الصفحة ذروة فنيية ، والحقيقة اننا نجد فيها العاطفة المسيرة للرواية باكملها (اكثر : انها الوحدة) وهي تحتفل بتحقيق امكانياتها الفعالة كافة » .

« ان ايرينه هي المرأة التي يريد ريكو ان يهواها : لكنهما يدفعه عنها وتصدده بسبب برودتها الخفية التي لم يتم التعبير عنها ابدا في تعابير حازمة وصريحة . وهذا ما يفسح المجال في نهاية الامر ، امام الاثنين ، كي يخلقا ظلا من العلاقة : يعيشان ليلة من الكلمات المتبادلة ، والاشارات ذات الدلالة . فها هو ريكو يتجنس على نوم المرأة ، ويمين الطريقة التي تجسس بها ، خلال لقائهما الاول ، على اشكال جسديها ونقاطيعه وهو يتفحصها بنظرانه التي يعمرها شوق قلق وعار للتحليل » .

« وفي نهاية الليل ، تحل ساعة اليقظة . لكن النوم افقد ريكو بعضا من مظاهر حياة ايرينه : ها هو اذن يبحث عن جسدها وهو يمسك يده تحت فطاء السرير . لكن المرأة ليست هناك . سوف يجدها تائهة في خيالها ، وهي جالسة الى المرأة تمال نفسها بيدها ، لتحيي البرودة التي تزحف في باطنها » .

« واذا كانت هذه الرؤية ستحرر ريكو وتخلصه فانها ستضعه

مورافيا - ان انقسام ريكو ليس حالة اكلينيكية . انه الانقسام الذي بوسعنا ان نسميه انقساماً طبيعياً بين روح الانسان وجسده ، وبين عقله وغريزته ، بين اناه ولا وعيه ، بين نفسه ولحمه .. الخ .

س - بعد ان انقسمت الشخصية اتي « انا » و« هو » ، الى وعي ولا وعي ، ونوزعت بين الحلم واليقظة ، بعد هذا هل ترى ان نية الكتاب تكمن في الطموح نحو تكامل ووحدة الشخصية لدى الانسان ، ومن جديد ؟

مورافيا - من المؤكد ان مثل ريكو الاعلى هو الضاء الانقسام ، واندماج « انا » مع « هو » . وان ريكو يرى هذا المثل الاعلى في الابداع الفني وفي الحب . اما الكتاب فهو لا يقدم اية اطروحة .

س - يبدو انك تتبع في رواياتك التفسير المستمر في الواقع الذي تريد التعبير عنه . لكن آخرين يقولون ان ما يستهويك هو المعاصرة Attoalita كيف ترى انت المسألة ؟

مورافيا - ان المعاصرة لا تستهويني . غير انه قد يحدث لي ، ولاسباب عديدة ، ان اكون معاصراً بعض الاحيان .

س - هل تعتقد بان الحب ايضا مرتبط حقاً بالارث ؟

مورافيا - الحب ، مهما كان شكله ، بوسعنا ان يكون مساهمة للتاريخ ، مثله مثل امور اخرى ليست ، وفي حد ذاتها ، « تاريخية » . لكن من الصحيح ايضا ان التاريخ كله مؤلف من امور غير تاريخية .

س - « هو » يقول ازاء فرجينيا : « اني موتها » . فكيف هو الجنس على انه موت ؟

مورافيا - « هو » عندما يقول ازاء فرجينيا « اني موتها » يريد ان يدل بكل بساطة على الطابع السادي والقاتل لشهوته . انه بحاجة في تلك البرهة الى ان تموت فرجينيا لكي ينفس « هو » عن كبته . لكن هذا يحدث « في تلك البرهة » وحسب ، لان شهوته بعد قليل ستغير او انها ستنتفخ نهائياً .

س - قال احدهم مرة ان مورافيا استخدم ماركس وفرويد على انهما مصدر يزوده ب « الموضوعات » و « باطروحات الانطلاق » ، وليس على انهما وسائل للمعرفة فكيف ترى انت المسألة ؟

مورافيا - الحقيقة ان ماركس وفرويد كانا المفسرين الكبارين للواقع الذي نعيش فيه . ولهذا فان يكون الانسان ابن عصره يعني ان يكون ماركسيا وفرويديا ، من غير ان يكف بالطبع عن ان يكون هو بذاته . واني اود الدلالة بهذا على انه من المحتم على الروائي اليوم ان يستخدم وسائل معرفة صاغها ماركس وفرويد . وهذا ايضا لان هذين الرجلين العظيمين طرحا مشاكل قديمة قدم الانسان ، مشاكل لم تجد ابدا حلا لها ، وذلك بلغة جديدة وتحت ضوء جديد وعلى مستوى جديد ايضا . اما فيما يتعلق بي ، فاني لم انتظر ، عندما كتبت رواية « اغوستينو » مثلاً في عام 1942 ، ماركوز لادرك ان الماركسية والفرويدية هما امران لا ينفصلان وكل منهما يحل محل الاخر .

س - « انا وهو » هي رواية تراجيكية - كوميكية ، مع ان كل شيء وكل واقع فيها يبدو وكأنه في قبضة ادراك ريكو ووعيه . فاين تكمن التراجيكية - الكوميكية ؟

مورافيا - التراجيكي - الكوميكي في رواية « انا وهو » هو التطبيق العملي النظرية لتصعيد . ان لريكو هوسا فكراً يحاول تطبيقه في الواقع . لكن الواقع يتمرد . ومن هنا الكوميكية . ان لدون كيشوت ، اذا اردنا تقديم مثال كبير ، هوسا فكراً عن الفروسية

الهائمة الرحالة . وعندما يسمى لتطبيقها في الواقع العملي يصطدم بصورة كوميكية مع هذا الواقع المتمرد .

س - هل لك ان تلخص لنا ما تكلمت عنه مؤخرًا في احدي مقالاتك عن الفرق بين « البنية » و « الكتابة » في الرواية ؟

مورافيا - قلت ان شكل الرواية لا يكمن في سطحها الكلامي ، اي في الكتابة ، بل يكمن في البنية . ان شكل الرواية يتألف من اوضاع ومن شخصيات ، اي من بنى اكثر مما يتألف من الكتابة . اما شكل الشعر فهو يكمن في الكتابة .

س - بطلات « الفردوس » هن نساء يكمن من خلال الكلام عن انفسهن صفات المجتمع الايطالي المعاصر . لماذا ترى ان ما يحدث للنساء يمكن ان يختلف شديد الاختلاف عما يحدث للرجال ؟

مورافيا - لاسباب تاريخية ، وليس لاسباب اخرى . وهذا يعني ان تاريخ المرأة ان كان حتى الان مختلفاً عن تاريخ الرجل ، فهو يميل لان يكون مماثلاً . بيد ان الماضي المختلف ما زال ينعكس على العلاقات بين الرجال والنساء ، وهكذا تفسر قضية ان ما يحدث للنساء اليوم ايضا يمكنه ان يكون مختلفاً جداً عما يحدث للرجال . وفي تعبير اخر ، انا لا ارى ان هناك فروقاً بين الرجال والنساء ، عسى الصعيد الاجتماعي والمهني والعاطفي والجنسي . غير ان التاريخ ، لاسباب قد يطول شرحها هنا ، خلق فوارق مصطنعة تسقط الان الواحدة بعد الاخرى .

س - في السابق كان يقال ان الجنس هو « مخرج النجاة » بالنسبة لشخصياتك . لكن يبدو ان حتى هذا الباب قد اُغلق ، كما هو واضح في قصص « الفردوس » . فماذا « حدث » ؟ مورافيا - يكون الجنس حراً عندما يكون المجتمع حراً . اما في « الفردوس » فيبدو ان الجنس ، او الشهوة ، مكبوتة - وليففر لسي هذا الامر - لصالح الكبت نفسه . ومن هنا يأتي حظر رغائب اللاوعي وامراض العصاب (نيوروزي) . هذا ما « حدث » .

س - قلت مرة انه لا يمكن للكاتب ان يروي قصصه ورواياته بعد مستعملاً ضمير القائب ، لانه ليس من الممكن ان الكلام بصورة موضوعية . ومن الملاحظ ان نسوة « الفردوس » يتكلمن بضمير المتكلم عن امورهن وعن حياتهن . غير ان الكاتب ، انت ، يتكلم عن « التاريخ » وعن صفاته الحالية في المجتمع ، وبصورة واعية ايضا . فكيف نوفق بين الامرين ؟

مورافيا - لا يمكن للكاتب اليوم ان يستعمل ضمير القائب ، لانه لا يمكن له ان يكون بعد الناطق والمصر عن المجتمع بفسره ويتقاسم معه سلم القيم . انه لا يمكن له بعد الا الكلام عن نفسه ولنفسه . وهذا يعني ان عالاه ليس بعد عالم الآخرين ، بل عالاه هو وحده . ولهذا فان ضمير المتكلم ، الذي يشير الى نسبية العوالم ونسبية رؤى العالم ، يفضل على ضمير القائب . غير ان هذا لا يستثني امكانية قيام الكاتب بمحاولة تبليغ القارئ رسالته . لكن ، ومهما يكن من امر هذه الرسالة ، فانها ستبقى رسالة « خاصة » (p) .

نبيل رضا المهاني

روما

(p) مقدمة للترجمة العربية لرواية « انا وهو » التي صدرت هذا الشهر عن « دار الآداب »